المحاضرة (5) التجديد الشعري في المشرق (2)

التجديد في شعر الجواهري:

تميز الجواهري بكونه شخصية ثورية ناقدة وكان يهدف بنصه إلى التغيير:

إيه كرامة والقريض وسيلة للخير لا للخمر ولا الأسمار

فقد ربط الجواهري الشعر بالسخرية والحكمة رافضا الوضع الراهن الذي يعيشه الشعب فقال:

نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام
نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام
نامي على زبد الوعود يداف في عسل الكلام
نامي تزرك عرائس الأحلام في جنح الظلام
تتنوري قرص الرغيف كدورة البدر التمام
ودم الشعوب ضمانها ورفاهها فأمدها الدولار

وقال في الحكمة :

ترفع أيها النجم المسجى وزد في دائرة الشرف اتقادا
ودر بالفكر في خلد الليالي وجل في الكون رأيا مستعادا
وكم بالصمت أبلغ منك نطقا وأورى في محاججة زنادا
فإن الموت أقصر قيد باع بأن يغتال فكرا واعتقادا

والأكيد أن ابتكار الحكمة في شعر الجواهري يعكس نضجا إبداعيا وتمييزا أسلوبيا وحينما كتب مغتربا:

يا دجلة الخير شكوى أمرها عجب إن الذي جئت أشكو منه
يا سكتة الموت يا إعصار زوبعة يا خنجر الغدر يا إعصار زيتون
يا نازح الدار ناغي العود ثانية وجس أوتاره بالرفق واللين

وتظهر النماذج المنتقاة أن الشاعر يولي بناءه الشعري عناية شاملة باختيار الألفاظ وتكثيف التصوير حتى إنه لقب بمتنبي عصره.

التجديد في شعر الشرقاوي

كتب عبد الرحمن الشرقاوي قصائد سياسيّة واجتماعيّة عدة وأشكال أدبية مختلفة(الشعر، الرواية، المسرح، القصة) وهي في مضمونها تثبت اتصال الشّاعر بالواقع.

كتب عنه صلاح جلال أنه : كان إنساناً رقيق القلب والمشاعر والأحاسيس وكان يفيض كل صباح على أصدقائه بالسؤال والاطمئنان والتشجيع، وكان الأخ الأكبر نلجأ إليه في أوقات الشّدة، والبحث عن صديق أمين كان أستاذاً في الوفاء وفي الإخلاص لقضايا الإنسان وحقّه في العدل، كان ثائراً حتّى ولو كانت ثورته على حساب صحته، إنّه كان عبد الرّحمن الشّرقاوي الكاتب الذي تعلّم الشّجاعة في إبداء الرأي والصلابة في الدّفاع عنه والتّضحية بكل شيءٍ من أجل الحق والعدالة وبقيت آثاره الخالدة فيما يكتب.

ألف الشاعر ديوانين الأول شعر يحمل عنوان قصيدته الشهيرة "من أب مصري إلى الرئيس ترومان" ، أما الثاني: فيضم مسرحيته من فصل واحد ومجموعة قصائد "تمثال الحرّية" و"قصائد منسيّة.

وكتب الأديب في المسرح: مأساة الجميلة"، 1962م، "الفتى مهران" 1966م، "تمثال الحرّية" 1967م، "وطني عكا"، 1969م، "الحسين ثائراً والحسين شهيدًا"، 1969م، "النّسر الأحمر"1976م، و"أحمد عرابي زعيم الفّلاحين"، 1985م.
ولقد اتخذ المسرح الشعري على يد الشاعر شكلا مغايرا في تجربة رائدة لتطويع شعر التفعيلة كأداة التعبير ونتيجة تأثره بالمذهب الواقعي الاشتراكي، وهو ما يشترط بشكل حازم إظهار النزاع الطبقي والمدافعة عن المكاسب التي حققتها الثورة البروليتارية للفئة الكادحة، فأخذ الشرقاوي على عاتقه معالجة هموم أبناء الوطن سواء في صراعها الداخلي المتمثل في الصراع ضد فساد السلطة والحكم، أو الصراع الخارجي في مواجهة المستعمر.

فاختار شخصيات إنسانية عظيمة تشارك في صنع الحدث السياسي وتتمسك بالقيم الدينية والعقائدية واستخدم الحدث التاريخي لا كحدث بقدر ما هو توظيفا للبناء المسرحي وقد تأثر الشرقاوي بمن سبقوه في كتابة المسرح الشعري، إلا أنه جعل لنفسه تميزا في اختيار مادته الدرامية لمعالجة القضايا الهامة التي تمس بحياة الإنسان
سمات الشخصية الثورية في المسرح الشعري:
حظيت الشخصية الثورية باهتمام الأديب وليس أدل على ذلك من عناوين الكثير من مسرحياته: مأساة جميلة التي تحكي معاناة البطلة المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد النسر الأحمر التي تظهر بطولة فارس عربي منقطع النظير وهو صلاح الدين الأيوبي، ثم عرابي زعيم الفلاحين ونلحظ فيها ثورة عرابي ضد الاحتلال وفساد الخديوي.
وتبرز في مسرحية مأساة جميلة معاناة المرأة وسبل تضحيتها وموقفها النضالي الهادف
"لا... بل أنا...
فأنا بزي المدرسي وبالحقيبة..
لن أثير شكوكهم إن باغتونا"
وشخصية جميلة ليست شخصية البطلة التراجيدية بل هي البطل الذي لم يرتكب الخطأ وذنبه الوحيد هو أنه وجد نفسه في أرض محتلة فاشتعل ثورة
"في مثل سني يسقط الآلاف من شهدائنا..
وعلى الشفاه، مع الدم المسفوك رنَّ هتافهم..
تحيا الجزائر،
تحيا الجزائر"
ويجعل الشاعر إحساس المرأة بالظلم يتصل بإحساس الرجل لا تنعزل عنه بل تشاركه في مهمة الدفاع عن الوطن وربما كان الهدف من ذلك خروج المرأة من نمطيتها وتعلقها بالبطولة منذ طفولتها:
أنا في الطفولة كنت أحلم أن أكون مجاهدة، ورأيت أمي وهي تقتل فوق قبر أبي الشهيد، فمضيت للجل الأشم، وعلى الطريق على مشارف قريتي، قال الكبار لي: .. ارجعي فغدا يجيء الوقت
وكانت جميلة هي شعلة البدء في تفعيل الدور الجماعي.... قد عمد الشاعر خلالها إلى الاستعانة ببنية حكي السيرة الشعبية، حيث تعامل مع المسرحية بوصفها تروي سيرة الحرب الجزائرية وبطليها جاسم وجميلة.
ذلك الصوت الجسور .. يتحدى كل شيء ..إنه عاد يدوي من جديد .. يحمل الرعب إلى أعدائنا .. إنه صوت الجزائر .. سيدوي دائما .. يحمل الأمل إلى أطفالنا

ويتضح من خلال هذا المثال المنولوج الغنائي على لسان الشخصيات والذي عد سمة ملازمة للبناء المسرحي عند الأديب.

شعر عبد الرحمن الشرقاوي.

يمكن عد شعر عبد الرحمن الشرقاوي ذو طبيعة رومانية وواقعية في الآن ذاته

الاغتراب والقلق:

أن الظروف المحيطة بذات الشرقاوي أسهمت في تضخم نزعة الاغتراب وتوسعها في شعره :.

فإذا ماتَ في غدٍ فدَعوه
آمنَ الصمتُ تحتَ جنحِ ضبابِه
شيّعوا نعشَه الوضيء بلحنِ
ضاحكُ المجتلي كلحنِ شبابِه
وَضعوا فوقَ قبرِه منَ جنى الْحقلِ
و مِن زهرِه و أعشابِه
إنَّه عاشَ عمرَه يعشقُ الْحقلَ
ويسلو بالخمرِ مِن أعنابِه

عمد الشاعر إلى الجمع بين أطراف معادلة الفناء (الصمت الموت النعش) لسهم في تأثيث واقع سوداوي اغترابي نظير لواقع الفعلي يشي بحدة الوجع الذي تعيشه الذات غير أنه سرعان ما عمل على محو معادلته تلك بتقويض أطرافها فاستبدل معطيات القبح بالجمال بما يسمى(الكتابة والمحو)

الحب:

إذ كان الحب قصيدة جميلة فلاسيما أن يحتضن الشاعر هذه التيمة في نصه ليقتل روتين الكآبة مانحا حياته المعنى

يقول الشاعر:

أرأيت ...ها أنا ذا كفرسان الزمان الغابر
لا شيء بعد سواك يصخب في ازدحام خواطري
أنا إن عشقت سواك إنسانا فلست بشاعر

إن التجربة العاطفية الصادقة هي التي تحقق الوجود ودونها لا معنى للذات لأن الذات في غياب أحاسيسها هيكل مجوف لا قيمة له.

الامتزاج بالطبيعة:

إنّ الشّرقاوي في كثير من قصائده الرومانسيّة يلجأ إلى الطبيعة ليقوم بدور المحرك لذكرياته الجملية ليهرب إلىِتذكر أزمنة سابقة في حياته عرفت نفسه خلالها السّعادة بالحبيبة ويتذكر الأمكنة الطبيعية التي شهدت بهجته:

عِندَما يَقبلُ الْخريفُ وآه لِلذي يَبعثُ الْخريفُ لَديا
فَاذْكُري ذلكَ الْخريفَ المولى حينَ شاهدْتُ حُسنَكِ الْعبقريا
منذُ عامينَ أو ثلاثَ وكم ذا يفلتُ الْعمرَ هارباً مِن يدياً
حِينَ كُنّا أَنذكُرينَ غَريبينِ نُرددُ الْحديثَ شَيئاً فشَيئاً

الحلُم

يتخذ الشّرقاوي من الحلم وسيلة لهجر الواقع وإعلان ضجره منه، فهو في قصيدة، "رعشه"، يمهّد للحلم، بضجر الفراش منه واضطراب عقله وجفاف الهوى في مضجعه كما يفعل الشرقاوي فيما يلي:

ما هذه المْسوخُ أَمامي
مِن نُهودٍ مَزمُومةٍ بِالطلاسمِ
وأخاديدٍ كلَّها مِنْ جَماجمِ
وجياعٌ قد أَمسكوا بِالسّماءِ
وسماءٌ تَضخمَتْ بِالدِماءِ

التوق إلى الحرّيةَ

الرغبة في الحرّية من أهم ملامح الشعر الرومانسي التي ظهرت في شعر الشّرقاوي حيث يقول في نفسه:

فابعثي شدوة الْهوى المْكنونةِ
واحْطمي هذه القيود وطيري
أطلقيها كَالرُّعبِ كَالأَملِ المجنونِ
كَالهولِ كَانْقضاضِ الْمصيرِ

وبعد الشعور بالاغتراب والحزن والحلم، يفكر في تحطيم القيود والانطلاق .